

اقتراح رقم وسطي الا اني لاتساءل فيما اذا كان ايقاع خمسة او ستة قتلى يوميا ، مثلا ، على امتداد السنة لا يمثل مستوى الحرج الذي يفصل بين القبول بامتصاص الخسائر دون الاقدام على تصعيد الردع تصعيدا خطيرا ، والانتقال الى حالة التصعيد .

فلو افترضنا ان عمليات الاستنزاف تؤدي الى وقوع نحو ٢٠٠٠ قتيل اسرائيلي في السنة (وافترضنا - كما بينت - ان هذا الرقم يمثل حدود استيعاب اسرائيل للاصابات دون التصعيد الخطير) ، وافترضنا الى جانب ذلك وقوع ثلاثة جرحى مقابل كل قتيل ، لبلغ مجموع الاصابات نحو ٦٤٠٠٠ في السنة الواحدة وهو رقم لا يزال على ارتفاعه يمثل ٩٤٢ بالمائة من التزايد في السكان بشقيه ، وخمس من واحد بالمائة اي ٠.٤٢٪ من جملة السكان اليهود في اسرائيل - لكنه مع ضالته يشكل عندئذ حد الاحتمال في اسرائيل .

ان هذا الاستنتاج - ونعترف انه يقوم على مجرد فرضيات - يبرز امرا في غاية الاهمية: هو ان احد اوجه الازهاق الناتج عن الاستنزاف (وهو وجه الخسائر البشرية) يلعب فيها اعتد في اسرائيل دورا اكبر بكثير مما يستدل من الارقام الجامدة ، واكبر بكثير مما يعنيه نوع نفس عدد الاصابات في صفوف المقاومة الفلسطينية و صفوف جيش ج ع م (وهما القوتان اللتان مارستا عملية الاستنزاف) . على ان افتراض كون حد الاحتمال لدى الجيش المصري والمقاومة الفلسطينية اعلى مما هو لدى اسرائيل ينبغي الا يفهم منه عدم الاكتراث العربي بالضحايا* ، وانما في الدرجة الاولى عدم القدرة حاليا على التصعيد حتى الحرب عندما يتخطى حجم الاصابات العربية حد الاحتمال العربي . اي ان التصعيد رهن في الدرجة الاولى **بالقدرة** على التصعيد اكثر مما هو برد الفعل النفسي لسقوط الضحايا . وبهذه المناسبة يجدر بنا ان نذكر ان التوتر والتمزق النفسي نتيجة الخسائر البشرية يشكل حسابا ذا جانبين . ففي حين انه يؤدي الى الوهن وهبوط الثقة بالذات ، فانه ايضا في نفس المجتمع (خاصة المجتمع الاسرائيلي الحركي والمتأثر بالحوافز والقوى عسكريا) قد يؤدي الى المزيد من الاصرار على القتال والحفاظ على التفوق . والواضح حتى الان ان حصيلة الحساب لدى الفريق الاسرائيلي تظهر انه يستخرج من اصاباته حافزا للضرب المتصاعد الشدة اكثر مما يفعل الفريق العربي . وهنا ايضا فان هذه الملاحظة لا يصح اعادتها الى سبب فرد ، فان حصيلة الحساب هي بدورها رهن بالقدرة العسكرية النسبية بين فريقين المجابهة .

في ختام بحثنا لناحية الخسائر البشرية ، ينبغي ان نتعرض لخرافة ذات انتشار في العالم العربي المحيط باسرائيل خاصة ، من ان الهجرة الى اسرائيل تنخفض دوما في اعقاب المجابهات العسكرية بين العرب واسرائيل ، وانها بالتحديد انخفضت بعد عام ١٩٦٧ بسبب نشاط المقاومة الفلسطينية** . ان الارقام تثبت العكس ، كما يتبين من مراجعة الجدول (١) حيث يظهر ان موجات الهجرة الصافية الكبرى جاءت في الفترات ١٩٤٨ - ٥١ و ١٩٥٥ - ٥٧ و ١٩٦٨ - ٦٩ وهي بالذات فترات رافقت وتلت المجابهات الثلاث الكبرى في الاعوام ١٩٤٨/٤٩ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ على التوالي .

* هذا مع الاعتراف ان للاستشهاد وهجا خامسا لدى العرب وهو يثر رد فعل ثقافي واجتماعي مختلف عما هو لدى اسرائيل .

** بين من اطلقوا هذا الادعاء احد القياديين في احدى اكبر التنظيمات الفدائية وذلك من على منبر الندوة العالمية الثانية من اجل فلسطين المنعقدة في منتصف شباط (فبراير) ١٩٧١ في الكويت .